الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

الحساب الأخير

بتاريخ/ ١٩ شوال ١٤٤٣ هـ ٢٠ - ٥ - ٢٠٢٢م

خطبة الجمعة

الحساب الأخير

الحمد لله الكريم الغفار أحمده سبحانه العزيز القهار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مالك المُلك المَلك الجبار وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد الأبرار صل الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الأخيار وعلىٰ من سار علىٰ نهجه وأقتفىٰ أثره إلىٰ يوم القرار.

أما بعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأعلموا أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله:

الحساب الأخير الذي ليس بعده حساب إنما يكون يوم القيامة يوم الوقوف عند الوهاب الحساب الأخير هو حساب من الرحمن الرحيم من الكريم ما أعدل هذا الحساب إذ كل أسألته وكل ابتلاءاته وامتحاناته معلومة ليس هناك مادة ولا يُعلم ما هو الامتحان ولا ما هو سؤال الامتحان، بل ربنا جَلَّوَعَلَا لألا يبقىٰ حجة للعباد عليه وليعذرهم أنبأهم عن نوع الاختبار وأنبأهم عما يسألون يوم القرار الحساب الأخير عندما تقبض روحك تُسأل،

من ربك؟

من نبيك؟

وما دينك؟

الحساب الأخير يوم القيامة تُسألون ماذا كنتم تعبدون؟

ماذا أجبتم المرسلين؟

وقد جاء ذكر الحساب في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي سنة رسوله ﷺ وأجمع علىٰ ذلك أهل الإسلام فالإيمان بالحساب داخل ضمن الإيمان بيوم القيامة وقد جاء ذكر الحساب في آيات متعددة بل وفي صورٍ متنوعة وأخبر عن الحساب رب العباد جَلَّ وَعَلَا وبشر بذلك عباده المؤمنين وأنذر وحذر عباده الكافرين وما ذلك إلا لكي نكون علىٰ بينة من الأمر فنستعد للعمل الصالح بعد أيامٍ اختبارات عامة لأبنائنا وبناتنا كم يستعدون وكم نستعد معهم!

كم يتهيؤون وكم نتهيأ معهم!

كم يتهيبون وكم نتهيب معهم!

فيا ترىٰ ما هو موقفنا وإياهم يوم الحساب يوم يعض الظالم علىٰ يديه يقول: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩]

وهذا الاختبار وهذا الحساب الأخير فيه موادٌ أساسية وهي أركان الإيمان وأركان الإسلام من لم يأتي بها لا يُنظر إلىٰ مواده الأخرىٰ الثانوية مهما كان خلقه مهما كان وصفه مهما كان حاله لأن العبرة بالأساس ومتىٰ ما فقد الأساس فلا قيمة لكل بنيان بعده.

قال جَلَّوَعَلَا عن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي من الأعمال الصالحة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

بعض العباد في يوم الحساب يدخلون الجنة بكرم الوهاب بلا وقفةٍ ولا سؤالٍ وهم فئةٌ قليلة كما قال عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١٤]

روىٰ البخاري ومسلم من حديث ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي ﷺ رأىٰ أمته ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حسابٍ ولا عذاب ثم قال في بيانهم وبكمال إيمانهم: هم الذين لا يسترقون [أي لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم] ولا يكتوون [أي لا يكتوون قبل وجود المرض] ولا يتطيرون [أي لا يتشاءمون] وعلىٰ ربهم يتوكلون"

وفي الحساب الأخير بعض العباد يحاسبون حسابًا يسيرا وهؤلاء لا يناقشون الحساب علىٰ ما فرطوا أو علىٰ ما جاوزوا، ولكن إنما يقررون علىٰ أعمالهم ولا يدقق معهم ولا يحقق وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ثم يصفح الله عنهم فقال عز من قائلٍ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]

وفي سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ فيقول صارخًا مناديًا مبشرًا نفسه ومن يظن أنه يسمعه ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الحاقة: ١٩-٢١]

هذه والله هي الشهادة ما هي شهادات الدنيا بكراتينها التي لا تنفع إلا وقتيةً ثم تصبح رمادً كحال صاحبها ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ فيأخذها ويجعلها وراء ظهره لا يريد أحد أن يراه ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]

فقال ﷺ: إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك" [رواه مسلم]

ومما ينبغي أن ننتبه له أن كل إنسانٍ قد يُسأل سؤالً مفردا كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤]

روىٰ مسلمٌ في صحيحه من حديث عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: ما منكم من أحدٍ إلا ويكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان [يعني واسطة] ولا مبلغ فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرىٰ إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار لأن النار بين أرض القيامة وبين الجنة فاتقوا النار ولو بشق تمرة"

وأول من يحاسب من الأمم في الحساب الأخير هو أمة الإسلام قال ﷺ: نحن الآخرون يعني زمانًا السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق" [رواه البخاري ومسلم]

وروىٰ ابن ماجة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا: نحن آخر الأمم وأول من يحاسب الحساب علىٰ مواقف منها اطلاع العباد علىٰ ما قدموه من أعمال: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وهذا والله إعذار من الله لخلقه وعدل منه فيهم فكيف هو سبحانه يخبرنا عن أعمالنا ثم يحاسبنا علىٰ ذلك: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥]

والله جَلَّ وَعَلَا يطلع العباد علىٰ صحائف أعمالهم ثم يقول: لهم أنظروا فيما رسبتم وأنظروا فيما نجحتم ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]

ما أعدله يجعلك حسيبًا علىٰ نفسك تصحح لنفسك الاختبار ما أكرمه جل في علاه يقول الحسن البصري قد عدل والله قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]

ومن ما سيكون في يوم الحساب إحضار الشهود علىٰ العبيد كالرسل والملائكة وأمة محمدٍ ﷺ شاهدة والعلماء شهود والأعضاء شهود قال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]

وهناك أمورٌ يسأل عنها العبد يوم القيامة يُسأل عن ما عمله في دنياه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]

وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]

عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربعٍ عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ [فليحتال المحتالون وليبذر المبذرون فإن يومًا سيقفون بين يدي الله] وعن ماله من أين أكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه" [رواه الترمذي وهو حديث صحيح]

والدماء أول شيء يحاسب بين العباد فعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: أول ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء [يعني من حقوق العباد]" [رواه البخاري ومسلم]

اول ما يحاسب العبد من حقوق الله بعد التوحيد الصلاة فإذا صلحت صلحت سائر أعماله وإذا فسدت فسد سائر العمل، والحكم العدل في يوم القيامة يأخذ من كل ظالمٍ مظلمة المظلوم، حتىٰ لو كان الظالمُ مسلمًا علىٰ كافر فلا يدخل الجنة حتىٰ يأخذ حق الكافر له إما بأن يخفف عنه العذاب وإما بأن يتجاوز عنه حتىٰ الحيوان يقول ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لتأدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتىٰ يقاض للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" [رواه مسلم]

والذي يعتدي علىٰ غيره بالضرب يقتص منه بمثل فعله يوم القيامة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من ضرب بسوطٍ ظلما أقتص منه يوم القيامة" [رواه البخاري] أو من ضَرب بسوطٍ ظلمًا أقتص منه يوم القيامة.

والحسنات في يوم الحساب هي ثروة الناس عند الوهاب فإذا كانت عليه مظالم للعباد فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم ثم ينظر إلىٰ أمر إما للجنة وإما إلىٰ النار والمفلس، والمفلس بعد هذا كله يعرف أسالة الامتحان ويعرف متىٰ الامتحان المفلس بعد هذا كله من يأتي يوم القيامة وقد سب هذا وشتم هذا وأخذ من حق هذا وظلم هذا وسفك دم هذا وضرب هذا" [رواه مسلمٌ في صحيحه بنحوه]

ونُسأل يوم القيامة عن العهود والمواثيق ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٥]

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفىٰ وصلاةً وسلامًا علىٰ عباده الذين اصطفىٰ.

عباد الله:

أعلموا أن خير ما تعدونه ليوم الحساب تقوىٰ الله فاتقوه وراقبوه في السر والنجوىٰ وأعلموا أنكم غدًا موقوفون بين يدي الله فسائلكم عن سمعكم وبصركم وفؤادكم.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال قتادةرَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تقل رأيت ولم ترىٰ وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله سائلك عن ذلك كله ونسأل يوم القيامة في يوم الحساب الأخير عن كل نعيم ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨]

وكذلك نُسأل يوم القيامة عن كل ما عملناه حتىٰ قال عبد الله ابن المبارك وغيره: إنا نُسأل عن كل نعيمٍ، حتىٰ لو كان يسيرا.

ومن أثار الإيمان بيوم الحساب عباد الله أنا ندقق أعمالنا وننظر إلىٰ أنفسنا ونستعد ليوم المآب وننظر ماذا أعددنا ليوم الحساب؟ وما هي أرصدتنا عند الوهاب ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن لكم وتهيأوا للعرض الأكبر علىٰ الله.

وقال عز من قائلٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠]

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [النساء: ١٢٤]

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأغفر لنا ما قدمنا وما لأسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، اللهم أكرمنا بجودك وكرمك وأعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، اللهم أغفر للأحياء منهم والأموات، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك يا رب العالمين، اللهم أدم أمننا وإيماننا، اللهم وفق أبنائنا وبناتنا اللهم وفق أبنائنا وبناتنا، اللهم وفقهم لكل خير وصل اللهم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.